خصائص الفعل السردي في الرواية العربية الجديدة

الدكتور: بعيطيش يحي
قسم الآداب و اللغة العربية
كلية الآداب و اللغات
جامعة منتوري-قسنطينة (الجزائر)

ملخص:

انطلاقا من مقاربة لغوية وظيفية حديثة،تجمع بين نموذج جاكبسون التبليغي بصفة عامة، و بين النموذج العاملي ل أ.ج غريماس لتحليل النص السردي الروائي بصفة خاصة، فإن هذه الدراسة تطمح إلى تحديد الخصائص العامة للفعل السردي في الرواية الجديدة، بإضاءة أربعة محاور أساسية:

1 . ثنائية المتن الحكائي (أو القصة) والمبنى الحكائي (أو الخطاب)

2 . البنية السردية العامة للنص الروائي.

3 . البنية التبليغية العامة للرواية .

4 . البنية العاملية للرواية.

Résumé :

D'après une approche fondée sur la linguistique fonctionnelle moderne , combinant le modèle communicatif de Jakobson en général , et actantiel d'analyse du texte narratif de Greimas en particulier , cette étude vise à déterminer les caractéristiques générales de l'acte narratif dans le nouveau roman , en éclairant quatre axes fondamentaux :

1- Dualité : récit / discours
2 - Macro- Structure narrative du texte romanesque
3 - Macro-structure communicative du roman
4- Structure actantielle du roman

مقدمة :

تندرج هذه المداخلة ضمن مشروع الكفاية المراسية أو التطبيقية لنظرية النحو الوظيفي،حيث تسعى هذه الأخيرة،أو هي في سعي دؤوب منذ نشأتها سنة 1978 إلى تحقيق الكفاية الوصفية وفق مستجدات اللسانيات الحديثة من جهة[1]،وإلى تمحيص كفايتها المراسية أو التطبيقية التي شملت جملة من الكفايات[2]، كالكفاية التعليمية و الترجمية و الحاسوبية والنقدية من جهة أخرى[3]..

وفي هذا المجال الأخير،أي المجال النقدي،يدخل موضوع دراستنا الموسومة ب " خصائص الفعل السردي في الرواية العربية الجديدة " ،الذي يستوحي مشروع ما سميناه أسلوبية وظيفية[4] مركبة من تأليفة، تمزج بين مبادئ نظرية النحو الوظيفي، ممثلة في مبدأ الوظيفة التبليغية و مبدأ تبعية البنية للوظيفة و مفهوم الملكة البيانية (الشعرية) و آليات تشغيل القوالب.. و بين نموذج جاكبسون التبليغي الخاص بالوظيفة الأسلوبية (الشعرية) و مفهوم الوظيفة المهيمنة.. و بين النموذج العاملي ل أ.ج غريماس حول النص بصفة عامة، و النص السردي الروائي بصفة خاصة..

وعليه،فإن الأثر الفني،سواء أكان مقامة أم قصة أم رواية قديمة أم جديدة،يعتبر فعلا سرديا يتميز بجملة من الخصائص،تخضع لمواصفات التحليل الوظيفي، سواء تعلق الأمر بمكونات ثنائية المتن الحكائي و المبنى الحكائي،أو تعلق بطبيعة مكونات البنية السردية،أو بالتحقيق الكلي أو الجزئي لمسارها،أو عناصر بنيتها التبليغية أو عناصر بنيتها العاملية المتمثلة في العوامل الستة،والوظائف التي تقوم بها تلك العوامل و العلاقات التي تنشأ بينها.

وفي هذا السياق،نسعى في هذه الدراسة أن نقدم مدخلا نظريا عاما،نتناول فيه بإيجاز المحاور التالية :

0 . تمهيد : نقدم فيه تعريفا عاما للرواية

1 . ثنائية المتن الحكائي (أو الحكاية) والمبنى الحكائي القصة(أو الخطاب) نحدد فيها الفروق الدقيقة بين الحكاية والقصة..

2 . طبيعة النص الروائي : نوضح فيها بإيجاز العناصر الأساسية المكونة لبنية الرواية،كالحدث والزمان والمكان والشخصيات واللغة.

3 . البنية السردية العامة للنص الروائي :نعرف فيها بمسار أو مراحل الفعل السردي بصفة عامة،التي قد تتحقق كليا أو جزئيا في الرواية الجديدة

4 . البنية التبليغية العامة للرواية :نحاول فيها توضيح مكونات أو عناصر البنية التبليغية للرواية الجديدة انطلاقا من النموذج التبليغي لجاكوبسن.

5 . البنية العاملية للرواية : نحدد فيها النموذج العاملي الغريماسي الذي لايستغني عنه قارئ الرواية الجديدة ،سواء تعلق الأمر بفهمها وتذوق جمالياتها،أو بتحليلها وتفكيكها، حيث نعرف بمفهوم العوامل ، وعلاقات الرغبة والتبليغ والصراع..

0 . تعريف عام للرواية :

يمكن أن ننطلق من تساؤل عبد الملك مرتاض[5] بأن الرواية هي كل فعل أو عمل سردي مطول نسبيا،معقد التركيب والبناء والقائم على تقنيات للكتابة معروفة ومن إجابته بأنها : " نقل الروائي.. لحديث محكي؛تحت شكل أدبي يرتدي أردية لغوية تنهض على جملة من الأشكال والأصول، كاللغة والشخصيات،والزمان،والمكان،والحدث ،يربط بينها طائفة من التقنيات،كالسرد، والوصف،والحبكة، والصراع ؛ وهي سيرة تشبه التركيب بالقياس إلى المصور

السينمائي؛بحيث تظهر هذه الشخصيات من أجل أن تتصارع طورا،وتتحاب طورا آخر؛ لينتهي بها النص إلى نهاية مرسومة بدقة متناهية ،وعناية شديدة[6] ...

والحقيقة أن تساؤل الدكتور عبد الملك وإجابته ، تستدعي وقفة مطولة وتحليلا معمقا يتطلب تفصيلات وتدقيقات لا تسمح بها مساحة هذه الدراسة،نكتفي منها بالتأكيد على :

أ . أن الرواية بصفة عامة والرواية الجديدة بصفة خاصة،هي فن نثري تخييلي بالدرجة الأولى طويل . نسبيا . بالنسبة إلى القصة،يعكس عالما من الأحداث والعلاقات الواسعة والمغامرات المثيرة،تسمح بإدخال جميع أنواع الأجناس التعبيرية سواء كانت أدبية فنية(قصص،أشعار، مقاطع كوميدية،رسم،موسيقى،نحت...)،أوغيرفنية(نصوص علمية ،فلسفية، تاريخية ،دينية..تحليلات دراسات سلوكية ...)[7].

ب . أن الرواية أثر فني خالص،شأنه شأن القصة أو المسرحية أو الفلم السينمائي.. يعتبر فعلا سرديا بامتياز، يمكن أن نوجز خصائصه كالآتي :

1 . ثنائية المتن الحكائي (أو الحكاية) والمبنى الحكائي القصة (أوالخطاب)

يفرق الدارسون المختصون في السردية أو علم السرد(Narratologie)[8] بشكل عام بين مفهومين سرديين أساسيين متداخلين ومتكاملين،وهما في أي عمل درامي أو قصصي متلازمان تلازم الدال والمدلول في الدراسات اللسانية الحديثة،أو الشكل والمضمون في الدراسات القديمة، وهما :

1 . 1 المتن الحكائي (أو الحكاية "Fable ") : وتتعلق بالمضمون السردي المتمثل في الأحداث المتتابعة للقصة أو الرواية كما جرت في الواقع الحقيقي أو المتخيل،حيث تمثل المادة الأولية للحكاية في أي عمل درامي،تتجسد في

متواليات أو برامج سردية(Programmes narratifs)[9] تنجزها شخصيات أساسية أو ثانوية،حقيقية أو خيالية أو اعتبارية،وفق مسار سردي متدرج متطور ،كما سيتوضح في فقرة البنية السردية العامة...

1 . 2 المبنى الحكائي القصة(Récit)(أو الخطاب) : ويتعلق بطريقة أو نظام ظهور هذه الأحداث في الحكي ذاته،فهو بعبارة أخرى الطريقة الفنية التي تحبك بها العقدة الحكائية أو العمل الدرامي؛أي التشكيل الجمالي الفني للمادة الحكائية،يتجسد في اختيار تقنيات سردية متنوعة[10]، تتعلق بأنماط رؤية الراوي والشخصيات،والتلاعب بالضمائر ،والأزمنة والفضاءات المكانية...

وتأسيسا على ما سبق تتجسد طبيعة النص السردي في التحام المتن الحكائي كمضمون خبري حكائي واقعي أو خيالي يغلب عليه الطابع العجائبي في الرواية الجديدة[11]،بالتشكيل الجمالي اللغوي الذي يمتع المتلقي أو القارئ ويشده إليه بصفة عامة،ويسحره بالجماليات والتقنيات السردية المحققة في المبنى الحكائي للنص السردي.

وفي هذا السياق،فإن الفعل السردي من حيث أنه عمل درامي،هو من جهة حكاية لأحداث في عالم من العوالم الممكنة أو الخيالية ، ترتبط بشخصيات لها صلة بعالم الواقع أو عالم العجائب،ومن جهة أخرى هو خطاب أو حبكة فنية يسردها سارد لقارئ أو قراء معينين..

وعلى هذا الأساس أصبح مدار الدراسات السردية الحديثة قائما على إدراك التواشج والتلاحم بين مكونات ثنائية المتن والمبنى الحكائي خاصة في الرواية الجديدة،سواء تعلق الأمر بفهمها وتذوقها،أو تعلق بتحليلها وتفكيكها.

2 . طبيعة النص الروائي :

الرواية من حيث هي جنس أدبي راق،تتميز ببنية شديدة التعقيد،تتضافر فيها جملة من العناصر،يمكن أن نرتبها بصفة عامة كما يلي[12] :

2 . 1 السرد : هو الطريقة التي يختارها المبدع أو الروائي ليقدم بها الحدث أو أحداث المتن الحكائي، ولهذا السرد أشكال كثيرة[13] :تقليدية كالحكاية عن الماضي، تتم بضمير الغائب،كما هو الحال مع رائعة ألف ليلة وليلة،وكليلة ودمنة،والمقامات بوجه عام،وجديدة،تصطنع ضمير المخاطب أو ضمير المتكلم،أو استخدام أشكال أخرى كالمناجاة الذاتية والاستباق والارتداد...

2 . 2 الحدث : يعد الحدث في الرواية بمثابة العمود الفقري الذي تقوم عليه بنيتها،فالروائي ينتقي بعناية وباحترافية فنية الأحداث الواقعية أو الخيالية التي يشكل بها نصه الروائي، فهو يحذف ويضيف من مخزونه الثقافي ومن خياله الفني ما يجعل من الحدث الروائي شيئا مميزا مختلفا عن الوقائع في عالم الواقع...

2 . 3 الزمان : وهو من العناصر المهمة في تشكيل النص الروائي،ومنه تنطلق أبرز التقنيات السردية،حيث يفرق بين زمان الحكاية التي تعرض مجموع أحداث الحكاية بطريقة عملية ، حسب النظام الطبيعي الخارجي الذي يخضع للترتيب الزمني وللأسباب والمسببات..في مقابل زمن القصة أو الخطاب الذي يتألف من الأحداث نفسها، لكن بطريقة فنية تتجسد في تقنيات أو جماليات الارتداد والاستباق والتسريع والاستبطاء..

2 . 4 المكان : لا يقل عنصر المكان أهمية عن عنصر الزمان، فهما متكاملان ومتداخلان،فلا مكان بدون زمان ولا ينعكس، وأهم ما يميز عنصر الزمان الروائي ما يسمى ب "الفضاء الروائي " الذي يشمل مجموع الأمكنة التي تظهر على امتداد بنية الرواية مكونة . بذلك . فضاءها الواسع المجسد

بطريقة فنية في جملة من الثنائيات الجمالية المتضادة أو التقاطبات المكانية[14].

2 . 5 الشخصيات : وتشمل بصفة عامة الأفراد الواقعيين أو الخياليين الذين تدور حولهم أحداث الحكاية أو القصة،على أساس أنه لا يوجد فعل بدون فاعل،فلا يوجد أيضا سرد بدون شخصيات...

غير أن الشخصيات أو الشخصية في الرواية الجديدة،ما هي سوى كائن من ورق،لأنها منتوج الخيال الفني للروائي ومخزونه الثقافي الذي يسمح له أن يضيف ويحذف ويبالغ ويضخم في تكوينها وتصويرها،بشكل يستحيل أن يكون انعكاسا لشخصية واقعية،وإنما هي شخصية ورقية من اختراع خيال الروائي أو الكاتب،بدأ دورها في الرواية الجديدة،يضمر ويتراجع شيئا فشيئا حتى أوشك أن يختفي نهائيا[15].

2 . 6 اللغة : يتميز النص الروائي بصفة عامة ونص الرواية الجديدة بصفة خاصة بأنه نص لغوي في المقام الأول،يتميز بنسقه المتفرد في إيقاع التناسب بين السرد والوصف والحوار والمناجاة،وبنسيجه اللغوي البديع الساحر،الذي تهيمن عليه الوظيفة الشعرية،انتقلت بموجبها الرواية الجديدة إلى رواية شعرية،همها الأول والأخير تحقيق هذه الوظيفة الجمالية،دون احتفاء بالعناصر التقليدية السالفة الذكر..

وبذلك سعت الرواية الجديدة ولا تزال في سعي دؤوب إلى تدمير البنية التقليدية للرواية،بدءا بتمزيق البنية الزمنية،وانتهاءً بتحطيم الشخصية..لتحتفظ بعنصر واحد منحته كل أهمية وعناية، وهو اللغة[16].

3 . البنية السردية العامة للنص الروائي:

إن الحديث عن النص السردي طويل عريض،خصوصا في الآونة الأخيرة التي تحول فيها السرد إلى علم قائم بذاته، يتناول بالتفصيل نظرية أو نظريات تدور حول طبيعة السرد وألوانه وأنواعه وتقنياته المتعددة..لكن غرضنا كما سبق تحديده يقتصر على تقديم صورة موجزة لمفهوم النص السردي بصفة عامة،وبنيته النموذجية بصفة خاصة.

ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن النص السردي هو النص المستعمل لوصف الأعمال و الأحداث في تنظيم متتال خاص،أي أنه النص الذي تقدم فيه الأحداث الحقيقية أو الخيالية عن طريق التعبير،وعلى وجه الخصوص التعبير الكتابي،و يتميز النص السردي بالتسلسل الزمني للأحداث،و ببنية سردية عامة،تضم المقدمة (البداية) و الموضوع والنهاية أو الخاتمة،وقد اقترح لها " جون آدم" البنية النموذجية المعيار الآتي[17]:

مقطوعة سردية

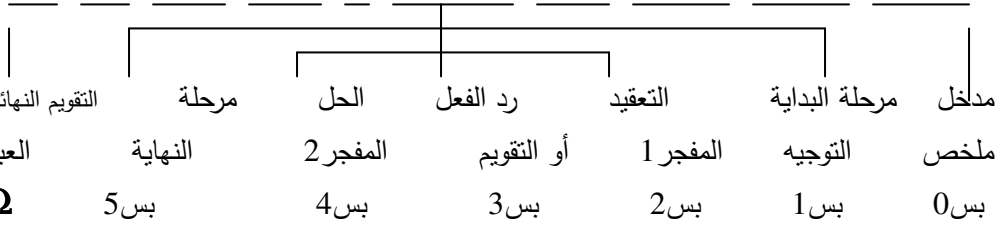

يلاحظ في البداية أن هذه البنية النموذجية العامة،صالحة لتمثيل البنية النموذجية العامة للنص السردي ولمقطوعته معا،ويمكن أن نوضحها ببساطة،دون الخوض في التفاصيل السردية التي لا يحتملها مقام هذا الدراسة،بالمثال الذي وضح به آدم هذه البنية،من خلال هذا النص السردي البسيط لحكاية أمير يبحث عن أميرة،وذلك بتقسيم نصها إلى البنى الحملية الموالية[18]:

(أ)يحكى أنه كان هناك أمير(ب) يرغب في الزواج من أميرة(ج) لكن من أميرة حقيقية(د) فجال حول العالم كله ليعثر على واحدة(هـ) ولم يكن هناك نقص في الأميرات في واقع الأمر(و) لكنه ما كان بإمكانه التأكد من أنهن أميرات حقيقيات(ز) إذ كان دائما فيهن شيء يثير شكه(ح) الأمر الذي جعله يعود حزينا لأنه لم يجد ما كان يرغب فيه.

يمكن توزيع هذه البنى الحملية أو الملفوظات السردية كما يلي[19] :

3 . 1 مرحلة البداية : وهي المرحلة التي توجه أفعال الشخصيات نحو تحقيق هدف أو موضوع قيمة يرغب فيه البطل،من ذلك مثلا توجه الأمير(الفاعل) نحو امتلاك موضوع قيمة(طلب أميرة للزواج) حيث تمثل ذلك

في البرنامج السردي الأول،المرموز إليه ب(بس1)،ويشمل بنيتي أو ملفوظي: (أ) +(ب) .

3 . 2 مرحلة التعقيد : ويبدأ بترتيب البنى أو الملفوظات التي تمثل الصراع،الذي يستدعي التغيرات والأسباب والمبررات المكونة لعقدة الحكاية،ويمثله هنا في حكاية الأمير الرابط " لكن " المفجر الأول(1) للصراع في البرنامج السردي الثاني(بس2) المجسد في الملفوظ(ج) " لكن من أميرة حقيقية ".

3 . 3 مرحلة رد الفعل : ويمثلها البرنامج السردي الثالث (بس3) الذي يجسده ملفوظي: (د)+ (هـ) الممثلين للنواة الحركية للبطل أو الفاعل وتشمل جملة الأفعال والتحركات والتغيرات.. التي يواجه بها التأزم في العقدة أو المشكلة التي تطرحها..

3 . 4 مرحلة الحل : وتوازي مرحلة التعقيد،حيث تبدأ فيها تدريجيا العقدة بالتفكك أو الأزمة بالانفراج،بعد بلوغها ذروة التوتر، وذلك بتحضير مقلب مناسب(المفجر2) قد تنقلب بواسطته الأحداث المتأزمة رأسا على عقب،ويحقق هذه المرحلة البرنامج السردي الرابع(بس4) الذي يبدأ في حكاية الأمير موضع الاستشهاد ، بالرابط " لكن " أو (المفجر2) للعقدة،وبالملفوظين: (و) + (ز) مع ملاحظة أن هذه المرحلة تدعى مرحلة الحل،سواء كان الحل فيها إيجابيا أم كان سلبيا،كما هو الشأن في هذه الحكاية.

3 . 5 مرحلة النهاية : تتبع هذه المرحلة من نهاية البرنامج السردي الرابع،حيث يبدأ البرنامج السردي الخامس(بس5) بنجاح أو فشل البطل في تحقيق هدفه،بامتلاك أو فقدان موضوع القيمة باتصاله أو انفصاله عنه حسب مصطلحات السيميائيين،وينعكس في حكاية الأمير في الملفوظ (ح) " الأمر

الذي جعله يعود حزينا لأنه لم يجد ما كان يرغب فيه " الذي يبدأ بعبارات أو روابط نحوية تدل على النتيجة،مثل عبارة " الأمر الذي " أو " بالنتيجة " أو " غير أن "..

والخلاصة هي أن البنية النموذجية السالفة الذكر تتميز بالترابط العضوي لبرامجها السردية الخمسة و تكاملها،خاصة البرنامج الثاني والرابع والخامس، الذي يكون حسب المختصين الهيكل العظمي لحبكة النص السردي أو بنية مقطوعته القاعدية،التي يمكن تجسيدها بنيويا كالآتي:

. قضية(بس2) + نقيض القضية(بس4) + التركيب(بس5) [20]

ويمكن لبنية النص السردي أن تشمل برنامج المقدمة(بس0) الذي قد يلخص أو يقدم للنص السردي العام وبرنامج الخاتمة الذي ينتهي باستخلاص العظة من القصة أو الحكاية (Ω)،وهما برنامجان ثانويان كما يدل على ذلك الخط المتقطع في الترسيمة النموذجية العامة.

4 . البنية التبليغية العامة للرواية :

انطلاقا من الترسيمة العامة للعناصر المكونة للنموذج التبليغي العام لجاكبسون،يمكن أن نحدد عناصر البنية التبليغية العامة للفعل السردي أو الرواية كما يلي[21] :

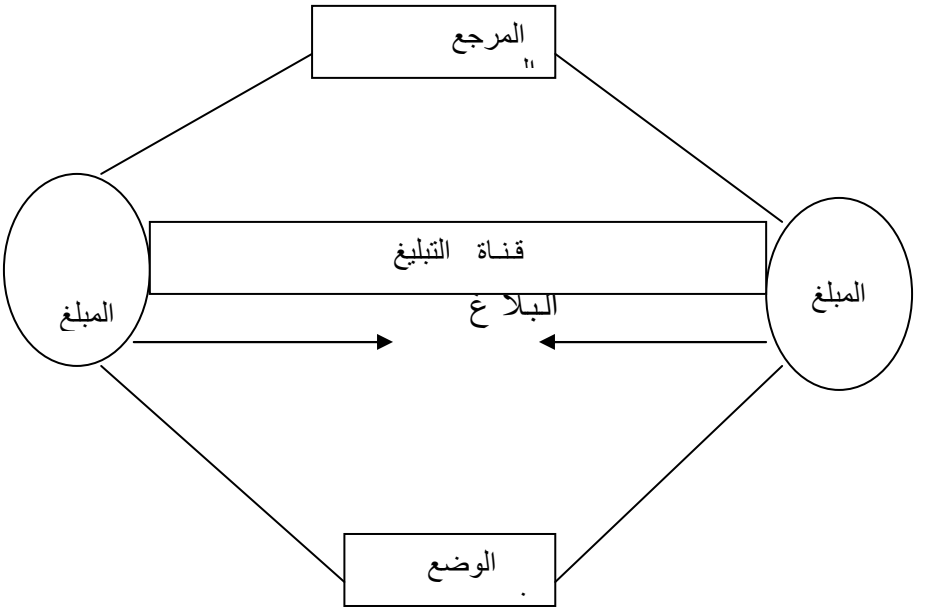

4 . 1 المبلِّغ(بكسر اللام) أو السارد : وهو مبدع الخطاب الروائي أو نص الرواية،وهو غالبا ما يكون كاتب الرواية التي يتوجه بها إلى جمهور معين من القراء،وقد يكون الراوي الذي يتماهى مع الكاتب المبدع،فيكون شخصية من ورق؛أي تقنية يستخدمها الروائي ليكشف بها عن عالم روايته، ويستتر خلفها ليعبر من خلالها عن مواقفه الفكرية والإيديولوجية والجمالية..

4 . 2 المبلَّغ(بفتح اللام) أو المسرود له : وهو المتلقي أو المرسل إليه الذي يتلقى الرواية أو يقرؤها وغالبا ما يكون جمهور القراء المتوجه إليهم بالرواية،سواء تعلق الأمر بالكم الذي يكثر أو يقل حسب شهرة المبدع أو عدم شهرته،أو تعلق بالكيف الذي يتبع نوع الرواية (تاريخية سياسية،اجتماعية،بوليسية غرامية...)،وقد يكون كالراوي شخصية من ورق،وقد

يكون كائنا مجهولا أو متخيلا،لم يأت بعد،وقد يكون المجتمع بأسره،وقد يكون قضية أو فكرة ما يخاطبها الروائي على سبيل التخييل الفني..

4 . 3 البلاغ أو المسرود : وهو هنا يعني نص الرواية بأنواعها المختلفة،انطلاقا من عنوانها إلى آخر فقرة فيها،وهي بحاجة إلى راو(سارد) ومروي له(مسرود له)،وبينهما تظهر بجلاء ثنائية الحكاية أو المتن الروائي والقصة أو المبنى الروائي المتلازمين عند السرديين اللسانيين أمثال: تدروف وجنيت وغريماس وريكاردو..

4 . 4 قناة التبليغ : وهي المسلك الذي يمرر المبلِّغ من خلاله البلاغ إلى المبلَّغ أو المتلقي، وتتنوع القناة بتنوع الوسائل التي تنقل بها البلاغات المختلفة..وهي في الرواية تشمل جملة من العتبات النصية ضمن ما يسميه "جيرار جنييت "بالنص الموازي(Paratexte)[22]،وتتعلق بما يحتويه الغلاف الأمامي، من رسوم أو صور مصاحبة لعنوان الرواية،فضلا عن محتويات الغلاف الخلفي،كعلامة أو علامات النشر،كاسم دار النشر ورقم وتاريخ ومكان الطبع ..

4 . 5 الوضع : وهو مجموعة القواعد التي ينظم بها المبلغ مجموعة العلامات المكونة للبلاغ الذي يتوجه به إلى غيره، فالمبلغ أو المرسل يموضع أو يرمز،والمرسل إليه أو المبلغ يفكك الرموزويحللها،ليفهم القصد من مضمون البلاغ الموجه إليه،وهو في الرواية نوعين من القواعد :القواعد الخارقة غالبا للعلاقات النحوية والصرفية في الخطاب العادي طلبا للعدول والنزوع إلى لغة أدبية،لها جمالياتها الخاصة،وقواعد تقنية خاصة بكتابة الرواية الحديثة بصفة عامة والرواية الجديدة بصفة خاصة، وتشمل بصفة عامة كل ما يتعلق بتقنيات السرد المختلفة ...

4 . 6 المرجع : ويتمثل في السياق والمقام والأشياء التي يحيل عليها البلاغ أو الرسالة،وهي في الرواية كل ما يحيل عليه نص الرواية من فضاءات وأمكنة غالبا ما تكون خيالية بعيدة عن الواقع،خصوصا في الرواية الجديد التي تضمر فيها الوظيفة المرجعية،بحيث تكتفي بالوظيفة الشعرية الجمالية،وبذلك تصبح اللغة فيها هدفا في حد ذاته.

وبناءً على هذا التحليل نخلص إلى الترسيمة الخاصة بالرواية كما يلي :

نص الرواية

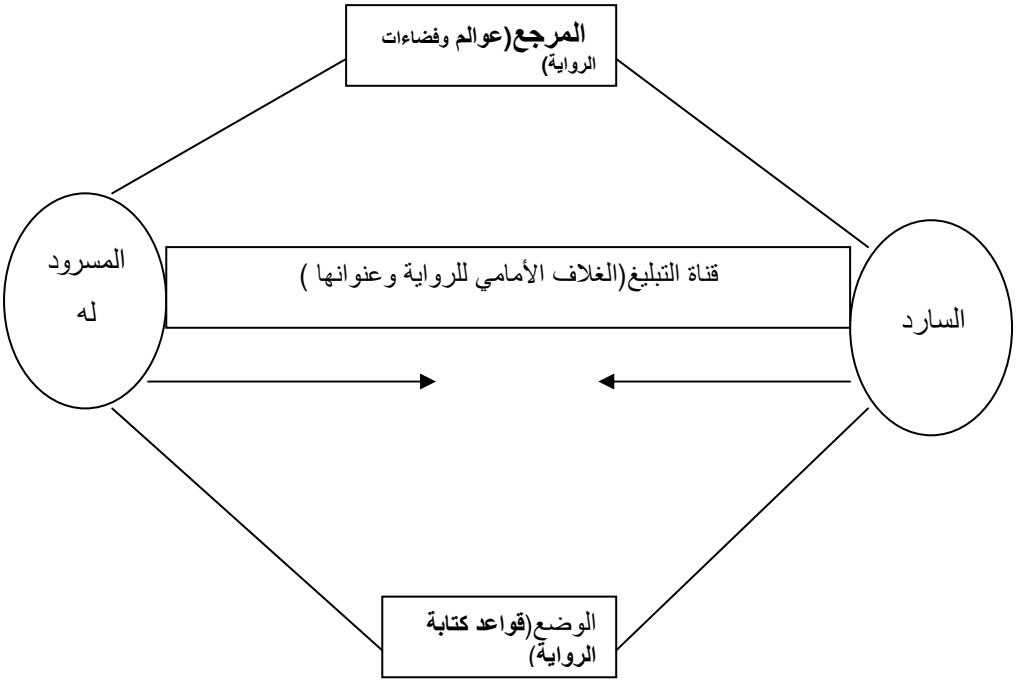

وقد استخلص الدارسون من تفحص هذه الترسيمة وتدبرها ثلاث وظائف أساسية[23]،يمكن أن نعرضها كما يلي :

أ . الوظيفة التبليغة أو التواصلية العامة :وهي الرسالة أو الفكرة الجوهرية العامة (سياسة اجتماعية فكرية فلسفية ..)،التي تغياها كاتب الرواية،ويسعى إلى تبليغها إلى جمهور قرائه...

ب . الوظيفة الإيديولوجية : وتتمثل في موقف كاتب الرواية من ظواهر وقضايا ومشكلات فكرية ثقافية خلقية أو اجتماعية..محلية أو عالمية،معاصرة أو تاريخية ... غالبا ما يفرغ الكاتب رؤيته الإيديولوجية في قالبه الفني،محاولا إقناع قرائه بها بطريقة غير مباشرة.

ج . الوظيفة التوثيقية : تبرز في المنحى التوثيقي الذي يضمنه مبدع الرواية في شكل إشارات إلى وقائع وأحداث تاريخية،أو وقائع وأحداث عايشها أو تنبأ بها..

5 . البنية العاملية للرواية :

على غرار نموذج جاكبسون الذي استلهمه من نظرية الإخبار لدى مهندسي الاتصال،يتكون النموذج العاملي من ستة مكونات أو عناصر،أطلق عليها غريماس اسم العوامل،وقد استلهم فكرة العامل من نظرية النحو البنيوي لتنيير ومن وظائف الحكايات العجيبة للشكلاني الروسي فلاديمير بروب،ومن العوامل في المسرح التي تحدث عنها سوريو(E. Souriau)[24]،حيث طور بذلك نموذجه الذي يشكل البنية المجردة الأساسية،التي تشتمل على الإواليات(قواعد ومبادئ) تضطلع بإنتاج وتحليل النص السردي بصفة خاصة وأي خطاب أو نص بصفة عامة،وتقوم هذه البنية على ستة عوامل،كما تمثله الترسيمة الموالية [25] :

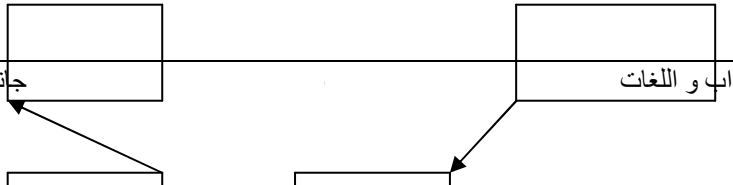

المبلـغ المبلـغ

الفاعل الموضوع

المساعد المعارض

ويمكن توضيح مكونات هذه الترسيمة كالآتي

5 . 1 العوامل(Les actants) : هي تجريدات تنطبق على الأدوار النموذجية التي يقوم بها كل عامل من العوامل الستة في النموذج العاملي،بحيث يقوم كل عامل بوظيفة أو بدور محدد في الحكاية العجيبة التي استلهمها غريماس من وظائف بروب وضبطها بشكل مؤسس معرفيا وبنائيا،ينطلق من فكرة عامة مؤداها أن الفاعل(فاعل الحالة " Sujet d'état" أو فاعل الإنجاز " Sujet de faire ")[26] أو البطل (الحقيقي/غير حقيقي) بتعبير بروب يسعى أو يقوم بأعمال من أجل تحقيق موضوع ذي قيمة(Objet de valeur) في نظره،كأن يرغب في التزوج بالأميرة أو يجلب الحيوان العجيب الذي يتوقف عليه شفاء الملك مثلا ... وينكشف هذا الموضوع أو يتعرف عليه البطل من خلال ممثل،يؤدي دور عامل المبلغ أو المرسل (والد الأميرة) الذي يطلب مهرا غاليا مثلا،أو (الملك المريض) الذي يطلب من أولاده البحث عن الحيوان العجيب الذي يشفيه،وهنا يقوم البطل برحلة عجيبة مليئة بالمغامرات والمصاعب ، من

أجل تحقيق موضوع القيمة (مهر الأميرة الصعب أو جلب الحيوان النادر)،وغالبا ما تساعده في هذه الرحلة العجيبة،ذات خيرة تقوم بدور المآزر أو المساعد،وقد يصارع أو يحارب ذاتا أو ذوات شريرة متعددة،تقوم بدور المعرقل الذي يحول دون الوصول إلى تحقيق رغبته أو هدفه،وفي نهاية الرحلة قد ينجح البطل فيعترف له المرسل بالفضل،ويكون نجاحه في صالح عامل المرسل إليه أو المستفيد،وهو هنا قد تشغل الأميرة وظيفة عاملين (الموضوع والمستفيد) وقد يشغل والدها وظيفتي(المرسل والمرسل إليه أو المستفيد) وقل مثل ذلك في الملك المريض،أما في حالة الفشل فإنه أي الفاعل(البطل) يحرم من الفضل ويعاقب.ومما تجدر ملاحظته أن غريماس يرى أن العامل قد يكون فرديا أو جماعيا،كما يمكن أن يكون مجردا أو مشيئا أو مؤنسنا،بحسب تموضعه في المسار المنطقي للسرد[27].

كما ميز بين العوامل(Actants) التي تقوم بستة أدوار كبرى . كما سبق شرحه . من جهة،والممثلين (Acteurs)الذين تسند لهم هذه الأدوار،ويحملون أسماء وصفات وطبائع معينة من جهة أخرى [28] .

وبناءً على ذلك يمكن لعامل واحد أن يكون ممثلا في الحكي بممثلين أو أكثر،كما أن ممثلا واحدا يمكن أن يقوم بأدوار عاملية متعددة ،كما يوضحه الشكلان المواليان[29] :

م1 م2 م3 م1

يتضح من خلال الشكلين أن العلاقة بين العامل والممثل علاقة مزدوجة،فلو افترضنا أن تجليات العامل (ع1) تتحقق في النص عبر ممثلين(م1،م2 ،م3)،فإن العكس ممكن أيضا؛فقد يتفرع ممثل واحد(م1) إلى عوامل متميزة(ع1،ع2 ،ع3).

5 . 2 العلاقات(Les relations):وتمثلها اتجاهات السهام بين العوامل،وهي ثلاث علاقات[30] :

أ. علاقة الرغبة (Relation de désir) : وتجمع هذه العلاقة بين الذات الراغبة(الفاعل)،وما هو مرغوب فيه أي موضوع القيمة،ويجسده السهم المتجه نحو الموضوع (الفاعل ←موضوع القيمة)،ويختصر هكذا : فا ← م ، ونجد هذه العلاقة في ما يسميه غريماس ملفوظات الحالة(Les énoncés d'état) التي يكون فيها فاعل الحالة إما في حالة اتصال ∩ أو حالة انفصال ∪ عن الموضوع " م " ،فإذا كان في حالة اتصال فإنه يرغب في الانفصال،وإذا كان في حالة الانفصال فإنه يرغب في الاتصال،ويترتب عن ملفوظات الحالة تطور ضروري،يسميه غريماس ملفوظات الإنجاز(Les énoncés de faire)،يصفه بأنه الإنجاز المحول ويرمز له ب(F. T : Faire transformateur)،يفضي . باعتباره يعمل على تطوير الحكي . إلى خلق ذات أخرى تسمى فاعل الإنجاز ،يرمز له ب(S . F : sujet de faire) وعندها يصبح العامل الفاعل(L'actant sujet) ممثلا بذاتين أو شخصيتين يسميهما غريماس ممثلين،أما التطور الحاصل بسبب تدخل فاعل الإنجاز فيسميه برنامجا

سرديا،يرمز له ب(P . N : Programme narratif)،وبذلك يخلص غريماس إلى بنية تركيبية مجردة تعتبر حجر الزاوية في النحو العاملي(Grammaire actantielle)،يصوغها في المعادلة التالية :

$$(P.N=FT(S.F) \Rightarrow [(S_1 \cup O) \rightarrow (S_1 \cap O)]$$

ويمكن استنادا إلى ترجمة رشيد بن مالك[23] لمصطلحات غريماس أن نعرف هذه المعادلة كالتالي:

ب. س = إ ح(فا إ) ⇐ [(فا$_1$ ∪ مو) ← (فا$_1$ ∩ مو)]

بحيث يكون : ب. س (P . N) : البرنامج السردي،إ ح (F . T) : الإنجاز المحول ، فا إ (S . F) ،فاعل الإنجاز ، ⇐ : يستلزم ، فا$_1$: فاعل الحالة ،مو (O):موضوع القيمة ، ∪ :علامة الوصل أو الاتصال، ∩ : علامة الفصل أو الانفصال، ← : يتحول ، ويمكن بعد هذا التوضيح أن نقرأ المعادلة التركيبية كالآتي :

يقتضي البرنامج السردي الذي قد يتكون من ملفوظات الحالة وملفوظات الإنجاز بالضرورة، إنجازا محولا (F . T) ممثلا بفاعل الإنجاز،الذي يستلزم أن يحول حالة الانفصال إلى حالة الاتصال أو العكس وبذلك يميز عادة بين تناوبين : أحدهما على مستوى ملفوظ الحالة،والآخر على مستوى ملفوظ الإنجاز،كما يوضحه الشكلان التاليان[31]

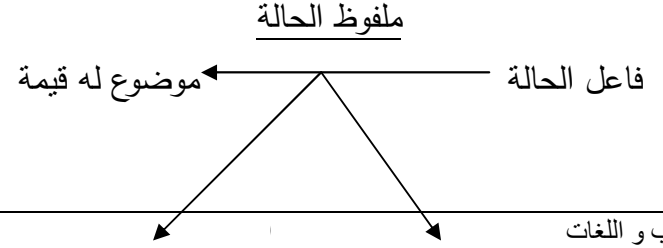

الاتصال الانفصال

(فا$_1$ ∩ مو) (فا$_1$ ∪ مو)

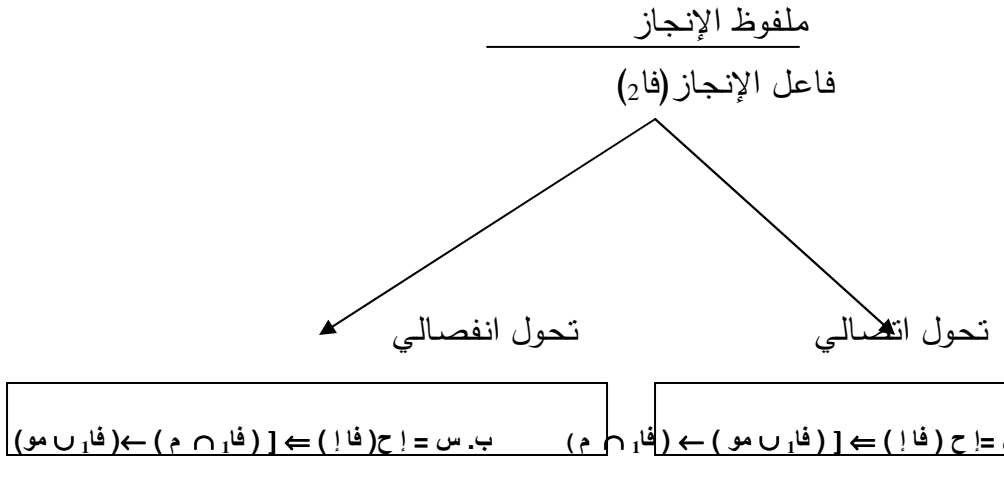

يبدو من خلال هذا الشكل أن علاقة الرغبة بين العامل الفاعل (فاعل الحالة/ فاعل الإنجاز) وبين الموضوع، تمر بالضرورة عبر ملفوظ الحالة الذي يجسد الاتصال أو الانفصال،كما تمر بعد ذلك عبرملفوظ الإنجاز،الذي يجسد تحولا اتصاليا أو انفصاليا،كما في الشكل السابق.

ب. علاقة التبليغ (Relation de communication) : تقتضي علاقة التبليغ ضمن بنية أي خطاب بصفة عامة وضمن بنية الحكي بصفة خاصة،أن كل ما يرغب فيه فاعل الحالة،لابد أن يكون وراءه محرك أو دافع من قبل المبلغ أو المرسل،كما أن تحقيق الرغبة لا يكون ذاتيا مئة بالمائة،فقد يكون موجها إلى عامل آخر هو المرسل إليه، وتمر علاقة التبليغ بين المرسل والمرسل إليه بالضرورة عبر علاقة الرغبة(علاقة الفاعل بالموضوع)،كما تبينه الترسيمة الموالية[32] :

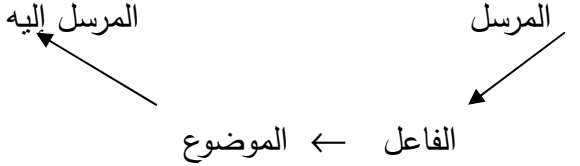

إن المرسل هو الذي يجعل الذات الممثلة للعامل الفاعل ترغب في شيء ما،والمرسل إليه هو الذي يعترف للذات الممثلة لفاعل الإنجاز،بالفضل لقيامها بالمهمة على أحسن وجه.

ج. علاقة الصراع (Relation de lutte) : وينتج عنها إما منع حصول العلاقتين السابقتين (علاقة الرغبة وعلاقة التبليغ)،وإما العمل على تحقيقهما،ويتعارض في علاقة الصراع،كما سبقت الإشارة العامل المساعد والعامل المعارض،إذ يقف الأول مع الذات الممثلة لفاعل الإنجاز،في حين يقف الثاني ضدها.

خاتمة :

نخلص من كل ما تقدم إلى أن أي عمل فني درامي،سواء أكان مقامة أم قصة أم مسرحية أم فلما أو رواية(حديثة أو جديدة) هو فعل سردي،يتميز بجملة من الخصائص أهمها :

1 . أنه علامة لغوية(Signe linguistique) كبرى،يتلازم ويتكامل فيه المدلول ممثلا في المتن الحكائي (الحكاية)،والدال المجسد في المبنى الفني (القصة).

2 . أنه بنية معقدة من العناصر المتكاملة:حدث زمان مكان شخصيات، لكن أهمها اللغة التي أصبحت في الرواية الجديدة غرضا جماليا في ذاته ولذاته.

3 . أنه بنية حكائية عامة،يتحقق فيها كليا أو جزئيا جملة من المراحل،حيث تنطلق من بداية ما، تتلوها مرحلة التعقيد أو التأزم،تليها مرحلة رد الفعل أو مواجهة التأزم التي تؤدي إلى مرحلة الحل أو فك العقدة،وبذلك تنتهي الحكاية إلى مرحلة النهاية التي تؤخذ فيها العبرة من النتيجة الإيجابية أو السلبية للحكاية.

4 . أنه بنية تبليغية عامة،تشمل كل العناصر التبليغية : من سارد(مرسل) ومسرود إليه(مرسل إليه) ومسرود (النص الروائي..) وقناة تبليغ(كل ما يحويه الغلاف الأمامي والخلفي للرواية)،ووضع(قواعد بلاغية وتقنيات سردية)،ومرجع(يشمل كل الفضاءات والأمكنة في عالم الواقع أو المتخيل).

5 . أنه بنية عاملية تشمل العوامل الستة المعروفة في ترسيمة غريماس بوظائفها وعلاقاتها الثلاث : الرغبة والتبليغ والصراع .

الهوامش و المراجع

(1) ينظر الأعمال الأخيرة لكل من :

أحمد المتوكل : التركيبات الوظيفية: قضايا و مقاربات. دار الأمان. ط1. الجزائر . المغرب. 2005م.

. المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول و الامتداد. دار الأمان. ط1 .الرباط .المغرب.2006م.

Kees Hengeveld and Lachlan Mackenzie : Functional Discourse grammar, Oxford university press 2008

(2) ينظر : يحي بعيطيش : نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة مرقونة بمكتبةجامعة قسنطينة 2006

(3) نفسه

(4) نفسه ، القسم الخاص بالأسلوبية الوظيفية، ضمن الفصل السادس

(5) عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2005 ، ص : 30

(6) نفسه ، ص : 32

(7) آمنة يوسف : تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1 سوريا 1997 ص :21

(8) ينظر : عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية، مرجع سابق ، وإبراهيم صحراوي : تحليل الخطاب الأدبي،دراسة تطبيقية " رواية جهاد المحبين لجرجي زيدان نموذجا "،دار الآفاق ط1 الجزائر

(9)ينظر مصطلح البرنامج السردي(Programme narratif) في القاموس المعقلن :

Greimas. A. J & Courtès. J: Dictionnaire Raisonné de la théorie de langage. Ed. Hachette. Paris 1979.

(10) ينظر : آمنة يوسف : تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، مرجع سابق

(11) ينظر : عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية،مرجع سابق

(12)ينظر آمنة يوسف : تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، مرجع سابق، ص ص : 23 . 27

(13) عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية،مرجع سابق، ص : 37

(14) آمنة يوسف : تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، مرجع سابق، ص : 25

(15) عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية،مرجع سابق، ص 38

(16) نفسه ، ص : 36

(17) Jean Michel Adam : Les textes types et prototypes. 4é éd Nathan 2001 , p : 54

(18) نفسه ، ص : 66

(19) نفسه ، ص ص : 51 . 52

(20) نفسه ، ص : 51

(21) Vanoye Francis: Expression Communication, Librairie, Armand Colin, Paris 1973. p : 13

(22)Voir :Gerard Genette : Introduction à l'architexte , coll poétique,ed du seuil,Paris 1985 . pp :78 – 81

(23) ينظر : إبراهيم عبد المنعم إبراهيم : بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم " سورة يوسف نموذجا "
مكتبة الآداب ، ط1 القاهرة 1429 هـ 2008 م ص ص : 109 . 113

(24) ينظر: حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء 2000، ص ص: 32 . 33.

(25) نفسه، ص:36

(26) ينظر التفاصيل في: القاموس المعقلن للنظرية اللغوية لغريماس وكورتس، مرجع سابق، ص : 369 . 370.

(27) السعيد بوطاجين: الاشتغال العاملي: دراسة سيميائية "غدا يوم جديد" لابن هدوقة عينة، منشورات رابطة
كتاب الاختلاف، ط1، الجزائر 2000 ، ص: 16.

(28)Jean-Michel Adam & Françoise Revaz : L'analyse des récits , Ed, du Seuil, Paris 1996, p : 59.

(29) رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر 2000 ، ص ص: 33.

(30) ينظر التفاصيل في: حميد لحمداني: بنية النص السردي، مرجع سابق، ص : 33 .37.

(31) ينظر التفاصيل في: رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائية السردية، مرجع سابق، ص ص: 7-36.

(32) حميد لحمداني: بنية النص السردي، مرجع سابق، ص ص: 34 35 .